الجزائريون والحرب العالمية الاولى 1914–1918:

اعلان التعبئة العامة والدعاية :

ما إن اندلعت الحرب العالمية الأولى، في أوت 1914. حتى بادرت ألمانيا إلى قنبلة مينائي عنابة وسكيكدة، في 4 أوت 1914. بواسطة طرادتين هما "غوبن" و"برسلاو". وكان هذا سببا كافيا للفرنسيين لإعلان حالة الحصار على كامل التراب الفرنسي. كما وجهت نداء للجزائريين تبين فيه أن ساعة الحسم قد حانت، وان ألمانيا قد شنت عدوانها على فرنسا "المسالمة "، داعية إياهم إلى الدفاع عنها حتى الموت، لأنها إذا اندحرت –حسب زعمها – فان الحضارة ستشهد تراجعا بعدة قرون مؤكدة في الوقت نفسه ضرورة الالتزام بالهدوء، والامتناع عن كل ما من شانه إثارة الاضطراب.

بادر الحاكم العام ليتوLutaud ابتداء من 17 أوت 1914، إلى إصدار تعليمات تقضي بمنع دخول مختلف المنشورات والصحف العربية والأجنبية إلى الجزائر، وهذا كي لا تصل معلومات الحرب والأوضاع في جبهات القتال المختلفة إلى الأهالي. في حين ستتولى جريدتي " **المبشر**" و "**الأخبار**" تغطية الأحداث وتقديم ما هو ضروري لأسماع الناس، وقد قامت السلطات الاستعمارية في 1913 بإصدار جريدة "**فرنسا الإسلامية** "، وفي 1914 أصدرت جريدة "**أخبار الحرب** «وانشأ الفرنسيون جرائد أخرى عنيت بمواجهة الدعاية العثمانية –الألمانية قبيل وأثناء الحرب، منها "**النصيحة**" ل:قوسلان و"**المغرب**" بإشراف مطبعة فونتانة ،والقسم العربي من جريدة "الأخبار" و"فرنسا الإسلامية" و"أخبار الحرب" تحت إشراف "جان ميرانت، ثم **كوكب إفريقيا** ل:محمود كحول، وكان السيد لوسياني مدير الشؤون الأهلية يسافر إلى المشرق ويطلع على الأحوال هناك، ويبعث التقارير حول المرأة والتعليم...الخ . وقد تركزت الضغوط والحجز على الجرائد التركية خاصة جريدة " الشباب التركي "، التي كانت تنشر –حسب الفرنسيين– معلومات مغرضة وأنباء كاذبة عن الحرب، تستقيها من وكالة "فولف" الألمانية.

لقد وجه وزير الداخلية الفرنسي تعليمة إلى الولاة بفرنسا يذكرهم بضرورة المعاملة الحسنة للعمال الجزائريين فقال" ان جهودنا لابد أن تنصب حول الانطباع الذي يحمله العمال الجزائريين وهم يغادرون فرنسا باتجاه الجزائر (أكبر مستعمراتنا الإفريقية). كما شجعت السلطات الفرنسية أيضا هجرة العمال باتجاهها لتعويض نقص العمالة بسبب التجنيد والتعبئة العامة .وبالموازاة مع ذلك بذلت جهودا معتبرة لتحسين ظروف المجندين المسلمين بالأراضي الفرنسية فقامت بإنشاء فنادق ومساجد وتحسين ظروف الإيواء ومارست في المقابل دعاية واسعة ضد الألمان والعثمانيين .

شكل الحصار المفروض على الجزائريين خلال الحرب، سببا لنقمة الأهالي ومصدرا لاحتجاجهم. وقد جاء في معلقة ألصقت بالجامع الكبير بالعاصمة «.....نعيش في زمن الصمت المفروض، فكل من يكذب يقع تأييده في حين أن من يقول الحقيقة يكون مصيره الموت.... "

لقد كانت مرحلة الحرب العالمية الأولى، ميدانا حقيقيا للصراع سواء على جبهات القتال المختلفة في الشرق والغرب، أو على صعيد المجابهة الفكرية والمنافسة الإعلامية واتضح للأطراف المتصارعة أهمية الدعاية الإعلامية في صنع النصر، خاصة بعد ظهور وسائل إعلام جديدة، ومتطورة ساهمت في سرعة انتقال الأخبار مثل وكالات الأنباء والصحف والراديو. وقد كان للخصمين المتصارعين ترسانة هامة من الوسائل الدعائية.

سخرت فرنسا جريدة" المبشر «كمنبر إعلامي هام لتحقيق أهدافها الدعائية وروجت لها بشكل منقطع النظير، عندما عمد الحاكم العام عند اندلاع الحرب إلى جعلها ورقة رسمية ومجانية. كما أصدرت الحكومة العامة أيضا "جريدة أخبار الحرب " في 1914. وهي جريدة أسبوعية أسندت مهمتها إلى السيد "جان ميرانت" المترجم والموظف السامي بالحكومة العامة. وكانت تكتب بلغة ركيكة أقرب إلى العامية.

حاولت فرنسا أيضا توظيف بعض الصحف العربية المعادية للأتراك، وبالخص التي كانت تصدر في الشام ومصر مثل جريدة" المقطم " وبعض الجرائد الصادرة بالمغرب العربي كجريدة "الزهرة " في تونس، وجريدة "السعادة " التي كانت تصدر بالمغرب الأقصى، بتوجيه من "الماريشال ليوتي" الخبير في شؤون المغرب الأقصى.

لجأت فرنسا أيضا إلى وسائل دعائية أخرى، خاصة في ظل صدور تقارير من "اللجنة الوزارية للشؤون الإسلامية " –وهي هيئة أوكلت لها مهمة تقييم الوسائل الدعائية خلال الحرب – بتاريخ 2مارس 1916 تفيد بعدم فعالية الصحافة المذكورة في تحقيق الأهداف المرجوة، وذكرت اللجنة أن القراء صاروا مدركين لأكاذيب ومغالطات الصحف الموالية لها، أو تلك التي تشرف عليها مباشرة.

لذلك اتجهت إلى أسلوب التمويه وذلك باللجوء إلى تمرير أفكارها ودعايتها عبر منابر إعلامية تبدو ذات مصداقية، ولا تحمل بصمات السلطات الفرنسية مباشرة، بتأجير أقلام خارجية خاصة المصرية منها، كالمقطم والأهرام، وحتى بعض علماء الأزهر وكانت الدعاية في شكل كراريس(brochures) تسحب على نفقة البعثة الفرنسية هناك.

ومقابل الدعاية المعادية ومحاولات التشويه والمسخ المنتهجة تجاه الأتراك العثمانيين وحلفائهم الألمان. فإنها حرصت كل الحرص، على تبييض صورتها تجاه الأهالي، وعملت على إبراز محاسنها وأعمالها التي تقوم بها لصالح الإسلام والمسلمين.

-توظيف رموز الدين في الدعاية:

أدرك الفرنسيون منذ الأيام الأولى للاحتلال، دور الدين البارز والريادي في حياة المسلمين الجزائريين، والمكانة الهامة التي يحظى بها العلماء ورجال الدين لدى عامة الناس، كما أدركوا أيضا عمق العلاقات وصدق المشاعر بينهم وبين إخوانهم في المغارب والمشارق. والحقيقة أن الفرنسيين ركزوا جهودهم على إبعاد الدين عن التأثير في حياة الناس وتوجيه سلوكهم. وهكذا تحركت الأطر الإدارية الرسمية (كالمستشارين البلديين الأهليين بوهران قسنطينة، إضافة إلى مجلس إدارة الجمعية الثقافية الإسلامية بالجزائر) وكذلك الشبان الجزائريين الذين عبروا عن مناهضتهم للوزراء الشبان الأتراك التابعين "للقيصر". وحذر بعضهم الحكومة العثمانية من التعويل على الشبان الجزائريين كما أكد أولئك الشبان تعلقهم المطلق بفرنسا.

وبالمثل تحركت الأطر الدينية في الجزائر على خطى الشبان الجزائريين (بحكم الوظيفة والامتيازات) كالمفتيين وشيوخ الطرق الصوفية، فقد عبر مفتيي المذهبين المالكي والحنفي بالعاصمة والسادة المالكية والسادة الحنفية بقسنطينة وكبار مشايخ الطرق عن تقديم فروض الولاء والطاعة.

استغلت فرنسا الفتاوى الصادرة عن مؤسسات وشخصيات دينية معروفة خارج الجزائر، للدعاية لسياستها الدينية وتعزيز موقعها في الحرب، كتلك الفتوى التي صدرت عن الأزهر الشريف والتي دعت المسلمين إلى التزام الهدوء والسكينة مبينة أن الحرب مضرة لكل البلدان.

لقد نشرت تلك الفتاوى على صفحات مجلة العالم الإسلامي، وبالأخص العدد الخاص من "النشرة العربية" الذي تضمن صور وإعلانات ولاء شخصيات دينية وسياسية هامة، كما وزع على جنود شمال إفريقيا في جبهات القتال. لكن لم يتسنى لنا التأكد منه .

ومهما يكن فان الجزائريين الذين تواجدوا بجبهات القتال في اوربا قد اســـتفادوا من تجربة الحرب من خلال الاحتكاك الذي أسهم في نضج الوعي القومي والوطني وكان عاملا من عوامل قيام الحركة الوطنية.

الاوضاع الاقتصادية و الإجتماعية للجزائريين خلال الحرب العالمية الأولى:

-تدهور النشاط الفلاحي للجزائريين:

تراجع النشـــاط الفلاحي للجزائريين الأهالي، بســـبب الحرب ، ففي صـــدد توجيه الاقتصـــاد الجزائري لخدمة المجهود الحربي و الأزمة المالية التي مرت بها فرنسـا خلال فترة الحرب، أجبر الجزائريون على مواصـلة دفع الضـرائب، منها ضـريبة اللزمة بحوالي 15 ـــ%، و ضريبة الزكاة التي قدرت بحوالي 11 بـ%، و مما زاد في معاناة هؤلاء ، ظاهرة الجفاف التي عرفتها بعض مناطق البلاد على غرار القطاع الوهراني ، و القطاع القسـنطيني، و منطقة القبائل، إضـافة إلى عدم توفر و سـائل النقل، فقد تم تســـخير أغلب الســـفن التي كانت تملكها شـــركات الملاحة البحرية لنقل الجنود و المواد التموينية، و كذلك نقص الآلات الزراعية الحديثة و ارتفاع أســعارها، من جراء إعلان الألمان حرب الغواصـــات التي شـــلت المبادلات التجارية العالمية، لذلك اضـــطر بعض الفلاحين الجزائريين إلى بيع ممتلكاتهم في ظل هذه الظروف، وعدم حصـــولهم على الحماية و الدعم من طرف السلطة الإستعمارية، بل قامت هذه الأخيرة بتدعيم المستوطنين بطريقة مجحفة، حيث مكنتهم من توسيع ملكياتهم الزراعية على حســـاب الفلاحين الجزائريين كما حصـــل بعمالة وهران، كل هذه العوامل أدت إلى تدهور الانتاج الفلاحي للجزائريين الأهالي، فقد انخفض إنتاج محصولي القمح و الشعير خلال موسمي (1915و 1916) إلى ما دون المعدل، كما تسبب الجراد و العواصـف المتبوعة بالبرد في خسـائر هائلة في بعض المناطق من البلاد خلال هذا الموسـم، و كان بسـب هذه الظروف الكارثية تراجع الإنتاج الاجمالي من الحبوب من 12.132.620 قنطار سنة 1914 إلى8.039.325 قنطار سنة 1917 .

واذا كان المســـتوطنون قد تأثر انتاجهم الزراعي من الحبوب من جراء الظروف، و معاناتهم كذلك من الارتفاع الفاحش لأسـعار المواد الفلاحية، فمثلا صـارت سـكة الحراث تباع في سـنة 1917 بسـتة اضـعاف السـعر الذي كانت تباع به في سـنة 1914، إلا أنهم تمكنوا من تعويض خسـائرهم عن طريق مضـاعفة إنتاج المحاصـيل الزراعية التجارية و التي في مقدمتها زراعة الكروم، و تمكنوا بفضـلها من جمع ثروات طائلة، نظرا للإقبال القوي على مادة الخمور لا سـيما في السـوق الفرنسـية، فشـكل ذلك حافزا للاهتمام بزراعتها، و قد تم تصـدير ما قيمته930 مليون فرنك فرنسـي من الخمور إلى فرنسـا خلال فترة(1915-1918)، كما عرفت زراعة التبغ نفس الاهتمام.

-انحطاط الصناعات التقليدية وتسخير الموارد الاقتصادية الجزائرية لخدمة المجهود الحربي الفرنسي:

لم تتمكن الصناعات التقليدية الجزائرية من الاستمرار في النشاط ،مثل صناعة النسيج ،و الثياب الصوفية ،و الذهب و الفضة و النحاس، فقد اســـتمرت في الإنقراض التدريجي خلال هذه الفترة، لعدم قدرتها على منافســـة المنتوجات الأوروبية، و "لم تقو هذه الصناعات اليدوية على منافسة الآلة و المعامل الكبرى الاوروبية" ، و بسبب إقدام السلطات الإستعمارية على تعبئة كل المنتوجات الجزائرية للأهالي ،مثل الصـــوف، و الجلود ،و الزيتون، و حتى الحبوب و الخضـــر التي تزايد عليها الطلب، الأمر

الذي يدفع بالصناع و الحرفيين إلى التوقف عن إنتاجها، لاسيما و أنهم كانوا مجبرين على دفع الضرائب. فصناعة الحياكة التي اشتهرت بها تلمسان عبر التاريخ، شهدت تراجعا كبيرا فنذكر على سبيل المثال-لا الحصر- كان يوجد بهذه المدينة في سنة 1848 أكثر من 500معمل، تراجعت إلى حوالي204 معمل في سنة 1914،و قد تأسفت الصحافة العربية الجزائرية على الوضعية الكارثية التي آلت إليها مثل هذه الصناعات خلال و عقب الحرب العالمية الأولى، ودعت إلى ضرورة التمسك و الاهتمام بها، باعتبارها جزءا من تراثهم الحضاري،و حتى بعض الصناعات الغذائية عرفت هي الأخرى نفس المصير، منها انتاج زيت الزيتون ،الذي انخفض من 341.000 هكتولتر خلال فترة(1911-1915) إلى حوالي173.392 هكتولتر سنة 1917،و إنتاج الصوف هو الأخر انهار ،فبعدما قدر إنتاجه في سنة 1915 بحوالي192.176 قنطار، تراجع إنتاجه في سنة 1916إلى حوالي 167.189 قنطار .

و من جهة أخرى جرى الاهتمام على نطاق واسع بالصناعة الإستخراجية في الجزائر من قبل السلطات الفرنسية لتلبية حاجيات الاقتصاد الوطني الفرنسي و المجهود الحربي، فإنتاج الحديد الذي قدر سنة 1917بـــــ:376.32 طن، و صدر منه حوالي 352.038 طن ، ارتفع انتاجه في سنة 1918 إلى حوالي410.230 طن، و صدر منه حوالي390.290 طن، علما بأن تصدير هذه المادة لم تقصر على أوروبا بل شملت حتى أمريكا ،و هذا بسبب تزايد الطلب العالمي عليها.نفس الاهتمام عرفته الصناعات الاستخراجية الأخرى التي اشتهرت بها الجزائر ،كالفحم و الفوسفات.